

خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

معشر الشباب :

ها نحن نعود لنلتقي في هذه الذكرى كما اعتدنا أن نلتقي في موعدها من كل سنة. وها نحن نخاطبكم بعد سنة مرت بآمالها وآلامها في هذا اليوم، يوم ذكرى ميلادنا الذي أردتموه وأردناه عيدا للشباب في وطننا، وجعلنا منه اليوم الذي يجتمع فيه الشباب في المدن والقرى ليستعرضوا حصيلة الجهود التي بذلت، ويتدارسوا قضايا الشباب بما تزخر به من مطامح وآمال، وما يحف بتحقيقها من صعوبات، ولينطلقوا من هذه الذكرى الى سنة أخرى بعد أن يرسموا مناهج التفكير ويجددوا خطوط العمل.

وها نحن نراكم مجتمعين حولنا في هذا الاستعراض الرمزي، تنعكس على أوجهكم حيوية الشباب، ويتدفق من أجسامكم مظاهر العزم والقوة واليقين، وتلكم هي العدة التي لابد للشباب في كل أمة وجيل من أن يتسلح بها لمواجهة حاضره وبناء مستقبله. وهي الخصال المؤذنة بأن غدا مشرقا ينتظر شبابنا كما ينتظر كل شباب واع مصمم طموح.

ها أنتم معشر الشباب تنطلقون ابتداء من هذه الذكرى الجديدة مؤكدين الاخلاص والوفاء لملككم الذي أخلص بدوره ووفى، أخلص للوطن والشعب، منذ نشأ وتربى في مدرسة محمد الخامس التي تخرج منها الجيل الجديد، وأبى حسن حظي إلا أن أعيش في كنفه، وأحاط برعايته الأبوية، وأزود في كل آن بتوجيهاته التي أنارت لي سواء السبيل، طفلا ويافعا وشابا، وأعطتني ما تزودت به لمواجهة الصعوبات التي أحسست بثقلها كاملا منذ شاء القدر أن يلقى إلي في سن باكر بمسؤوليات أمة لا أحد يقدرها قدرها كملك في مقتبل العمر، له من العزم والطموح وشدة الايمان وعميق الادراك لمسؤولياته ما للشباب، عزم وايمان يتجددان وينموان كلما ازددت احتكاكا بتلك الصعوبات، ومضيت قدما في الاضطلاع بالمسؤوليات، عزم تتوقد جذوته في نفسي كلما أحسست — وما أكثر ما يخامرني هذا الشعور —، بأن شباب شعبي يعيش في مستوى الأحداث وخضم التيارات، وأن له من قوة الارادة ما يذلل به المشاكل، ويقهر المصاعب، ويوفر لأمته ظروف النجاح، وللوطن أسباب العظمة والخلود.

لقد ورثنا أيها الشباب تراثا وطنيا بعد تضحيات وطنية من العرش والشعب، وبعد أن اجتزنا للذود عن ذلك التراث السنين الحوالك الطافحة بصور البطولات الرائعة، فرسالتنا الأولى هي أن نحسن احتضان تراثنا، لنكون أهلا لوراثته، وإنه لمن العقوق للذين سبقونا بالايمان وائتمنونا على ذلك الرصيد أن نفرط لحظة في القيام بواجبات الحفاظ على المكتسبات الوطنية التي هي من صنعنا وصنع الأجيال التي سبقتنا، وهذا الوفاء يقتضي منا أن نسجل في مطلع كل يوم عملا جديدا تؤلف حلقاته المنجزات التي يكتبها التاريخ لنا كما كتب أمثالها للأولين.

وفيما يخصنا، فقد آثرنا أن نحصن ذلك التراث بالحرية وان نحمي تلك المكتسبات بالديمقراطية، وان نجعل شعبنا في جميع المستويات يحس بأنه يزاول حقوقه ويؤدي واجباته على أكمل وجه، وأن نوفر لشبابه من الظروف ما يرضي طموحهم، وما يجعلهم يسهمون في رسالة تقدم الانسانية، إذ لا تقدم في ظل الاستعباد الذي يمنع تفتح القرائح، ويحول دون ازدهار الشخصية البشرية.

وإذا كنا نفخر بما خلفته أجيالنا السابقة من تراث تليد ونحمد مغبة المساعي والجهود التي بذلوها فإن أكبر همنا أن نخلف بدورنا للأجيال اللاحقة ما تفخر به وتعتز، إذ لا أقسى من حكم اللاحقين على السابقين حين يفرط هؤلاء في القيام بمسؤولياتهم، وينسون أن التاريخ أعدل حكم وأكبر رقيب.

إن من حسن حظ شباب هذا الجيل انه يترعرع في ظل الاستقلال المستعاد، والحرية المستردة، والكرامة المسترجعة، وأن سبل الانطلاق أمامه ممتدة، وان آفاق تطوره متسعة، وان مستقبله بالتالي — يلوح بشارات البشائر، فليتذكر وهو يستفيد من تضحيات السابقين وينعم بعهد التحرير ان الجيل الماضي نشأ في المحنة، وعارك الأحداث، وعاش في ظلمات العهد البائد، وان كل شيء كان يرشح نخبته لأن تكون ذبح الفداء وثمن الحرية لولا عزمها وإيمانها وصبرها ومثابرتها التي طوت بها تلك الصفحات المظلمة، وأعادت بها شباب هذا الوطن غضا طريا لينعم جيلنا بحصيلة تلك العهود، ويغنم فوائد تلك الجهود.

وقد كان جلالة محمد الخامس يقول : لقد كان في امكاننا أن نكتفي في كفاحنا بتحقيق الاستقلال، وتحقيقه يطلب منا تضحيات وجهدا ومثابرة، ولكن رسالتنا لا يجب ان تقف عند نهاية، بل يجب أن تمتد ما امتدت بنا الحياة ليتشبث شبابنا بوطنه الغالي، وليمجده بنفس الوطنية الصوفية التي كانت السلاح الذي استعدنا به مجدنا وكرامتنا، وليدرك أن وجوده مرتبط بأرض الوطن الخيرة المعطاء، وبما تدره من خيرات وافرة وما تغدقه على أبنائها جميعا من خير عميم. ومن كان بالوطن برا كريما، كان الوطن له أبا رحيما، وليحتفظ شبابنا بتعلقه بمؤسساته القومية والمحافظة على تعاليم دينه الحنيف، وباعتزازه بقيمه الروحية التي لا يؤثر ولن يؤثر في أصالتها ونبلها التطور العصري مهما قوي تياره، فهي ثابتة باقية بقاء الأصلح. وليتذكر الشباب أن المغرب الذي اعترضته في سيره عبر التاريخ تيارات واختيارات قد آثر دائما ما ارتآه منها أقرب لعبقريته، وأنسب لأسلوبه، وأكثر انسجاما مع طابعه، فمهما تكن المذاهب والنظريات التي يزخر بها هذا القرن فان أرشدها وأقومها ما لا يذيب كياننا، أو يمسخ ذاتيتنا، أو يرهن حرية تصرفنا، أو يقطع الصلة بيننا وبين ماضينا الزاهر الذي يحق لنا أن نفتخر به ونعتز، ونربط دائما حلقة الوصل به دون ان نتأخر عن السير حثيثا في ركب قافلة التقدم التي لا تنتظر المتعثرين ولا المتخلفين.

ان التقدم الحق وان قامت فلسفته على التطلع للمستقبل، والتحرر من العوائق والمثبطات لتحسين المستوى العام كي يصبح اليوم أحسن من الأمس والغد وأرقى وأفضل، إن هذا التقدم لا يعني ان يستدبر التقدمي ماضيه ويتنكر له، وأن يعق الجد والوالد، ويخل بواجب الاحترام للكبير، والحدب على الصغير، أو يستخف لمجرد الاستخفاف بتقاليدنا الأصيلة، ويستهتر بما تحلمه في طياتها من مقاصد سامية نبيلة، وان ينغمس في المادة روحا وتفكيرا، بل أن مبدأ التقدم الأساسي عند من يدركون مفاهيمه هو الأخذ بالأصلح والأقوم حيث وجد ومن أين أتى، وما أكثر ما يزخر به تراثنا الوطني من قيم تزيد فلسفة التقدم أصالة وتركيزا.

إن حضارة القرن العشرين ميراث عالمي ليس لجنس أو فصيلة من البشر حق الاستئثار به، أو ادعاء تبنيه،



فقد ساهمت البشرية جمعاء في خلق ذلك التراث وتنميته وتعهده والمحافظة عليه، وقام المغرب الذي احتفظ بذاتيته عبر القرون بالاسهام بالنصيب الأوفى في تنمية ذلك المجهود البشري، سواء في الميدان المادي أو الروحي، ومن حقنا ان نفخر بذلك دون أن ننام على نغمات التغني بتلك الحسنات، أو نكتفي بترديد تلك المأثرات.

إن عبقرية شبابنا يجب أن تظهر خاصة في حسن الاستفادة من فضائل التقدم المادية والمعنوية، وفي قدرتها على خلق توازن بين متطلبات المادة والروح، مما يجعلها تعيش في هذا القرن دون أن يطغى التفكير المادي الصرف على روحها فيمسخ فيها كل المعاني السامية التي تصبح الحضارة بدونها في خدمة أغراض لا يستهدفها التقدم والتطور.

ليحصن شبابنا نفسه بالايمان واليقين، وليحافظ على روحه المغربية، وليمجد في غمرات المادية الطاغية المعاني الكريمة التي تميزت بها شخصية المغربي في كل جيل : معاني البطولة والكرامة والوفاء، كي تظل المبادىء التي تنبثق من تلك المعاني تكيفنا وتوجه سلوكنا في ساعات العسرة واليسرة، كما كيفتنا ووجهتنا في ساعات المحن التي اجتازها الوطن، فقهرنا بها المحن، وتغلبنا بها على الشدائد.

معشر الشباب :

إنكم تؤلفون بعددكم أغلبية سكان المغرب، وان ما تتوفرون عليه من إمكانيات ليشكل الطاقة الكبرى التي إن أحسن استعمالها كفلت للوطن وافر الانتاج، وحققت له الرفاهية والازدهار. وان ذلك ما استهدفناه من إشاعة التعليم وتوفيره واعطائه الاولوية بالنسبة لضرورياتنا الأخرى وهدفنا ان يستفيد أبناء الوطن جميعا من منافع التربية الوطنية حتى تتقارب العناصر الشعبية، ويصبح المثقف والعامل والصانع والفلاح، والبدوي والحضري وقد تضاءلت بينهم الفروق، يحسون نفس الاحساس، ويتكلمون نفس اللغة، نتيجة تساوي الحظوظ في قدر معين من التعليم، يمكن كل عنصر من شبابنا من الانصراف الى بناء الوطن، طائفة بساعدها وعرق جبينها وتدريبها، وأخرى بفنيتها وتثقيفها وبذلك يصبح التعليم أداة لانعاش الوطن وازدهاره الجماعي، ولا يبقى مجرد حظوة يمتاز بها المحظوظون به على المحرومين منه.

ان تعلم شبابنا كل في ميدانه يجب إذن أن يكون في خدمة جماهير الشعب، فالفنية التي لا تستهدف رفع المستوى الشعبي، ولا تسخر نفسها للمساهمة لتحقيق الازدهار الجماعي فنية عقيمة، والعلم الذي لا ينفع ولا ينتفع به محكوم عليه بالشلل والجمود، وقد قال عليه السلام : «رحم الله أمرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها» «فرب مبلغ أوعى من سامع» وليؤدي تعليمنا هذه الأهداف لابد ان تكون أداته اللغة العربية لغتنا القومية، التي ثبتت كلغة عالمية أمام التيارات، وأدت عبر التاريخ والقرون رسالتها في تنمية الحضارات، وبذلك يصبح التفكير المغربي تفكيرا منسجما متوازيا تذوب عن طريق التعريب فروقه وأبعاده.

إننا نريد من شبابنا أن يخوض معترك الحياة مستفيدا ومفيدا، وان يعرف كيف يستفيد مما يقرأ وما يسمع، وان يحسن إساغة ذلك كله، ليستخلص منه في النهاية ما ينفع به شعبه ووطنه ولا نريد شبابا يعيشون في أبراج عاجية، يداعب الغرور أنفسهم، وتخلق فيهم الثقافة نوعا من مركب الاستعلاء يحول بينهم وبين الاحساس بأماني وآلام شعبهم، فرسالة شبابنا المثقف يجب ان تستهدف الاحساس بحاجات الفقير والبائس والمعوز والجاهل، وتؤدي اهدافها في تعبئة كاملة لجميع طاقات الشباب للعمل من أجل امتداد عظمة الوطن وضمان العيش الكريم لأهله، وتوفير ظروف الشغل والعلاج والتربية للجميع.

ان عالمنا اليوم وخاصة منذ بداية هذا القرن يزخر بالأفكار والمطامح، وهو يجتاز عهد التحول السريع، اذ تقوى فيه المعلومات وتنمو، ويزدهر فيه العلم ويمتد، ويمضي فيه الجنس البشري من طفرة الى طفرة : وان اتساع آفاق الفكر فيه ليسير جنبا الىٰ جنب مع التنمية الاقتصادية التي يتطلع اليها العالم المتخلف، في حين لا تعرف الأمم التي جاوزت عهد التخلف توقفا ولا تراجعا : اننا إذن في مسابقة مع الزمن. وفي هذا السباق لابد ان نحسن الركض، ونجيد العدو لنتدارك ما ضاع من وقتنا ونحاول ان نصل في الميعاد مع القافلة السائرة.

إذا كان واجبكم معشر الشباب هو العمل دون توقف ولا تخاذل ولا فتور، فان واجبنا ان نهيىء لكم جوا طاهرا نظيفا تسود الفضيلة فيه البيت والمعمل والمصنع والمكتب، ونستأصل فيه جرائم الرشوة والمحسوبية والفساد، تلك الأمراض التي سنقابلها في القريب العاجل بما يضمن التوقي منها وعلاج مرافق الدولة من أخطارها.

ولقد وقفنا صباح أمس فقط متوجهين الى طائفة من شبابنا بالخطاب هم طائفة المتخرجين من المدرسة الادارية وهم على أبواب تحمل المسؤوليات فآثرنا ان نتحدث اليهم بلغة الصراحة والصدق، وان نتوجه في أشخاصهم بالخطاب الى جميع الذين يتولون المسؤوليات كي يقوموا بدورهم على خير وجه، ويؤدوا خير أداء ما للوطن عليهم من تكاليف وواجبات لا يصح الاخلال بها أو يجوز التهاون فيها. ففي هذه الذكرى أهيب بكم معشر الشباب : طلبة وموظفين وعملة وصناعا وفلاحين، بكم جميعا يا بناة صرح الوطن ويا صانعي أمجاد هذا الجيل ان تدركوا أهمية رسالتكم، وتقدروا نبل أهدافها. وان أمامكم المجالات الواسعة لتصريف مواهبكم وتنمية مداركم، فالمؤسسات الدستورية التي أرسينا قواعدها في جميع المستويات على الصعيد الجهوي والاقليمي والوطني تتيح الفرصة للجيل الحاضر ليعمل بجد : وظروف العمل التي حرصنا على توفيرها لكم مواتية، ولكم منا عهد ان نواصل معكم السير معطين المثل من نفسنا لا نبخل بوقت، ولا ندخر جهدا، مستهدفين دائما إسعاد شعبنا وعزة وطننا، ومحاسبين أنفسنا قبل ان تحاسبنا الأجيال اللاحقة.

أمد الله في عزمكم معشر الشباب، ولازالت هذه الذكرى تعود وأنتم في كل سنة أوفر جمعا، وأعظم عزما وأكثر قوة.

وحفظ الله الوطن بكم، وحماه بهممكم وساعدكم، ووفقنا لخدمة أهدافنا مجنبا إيانا مواطن الضعف ومواقع الزلل، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ان الله بالغ أمره).

صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ألقي بالرباط

الخميس 28 صفر 1384 — 9 يوليوز 1964